الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

اللسانيات التعليمية في ضوء التحول الرقمي: "نحو بناء نموذج تربوي عربي متجدد"

الدكتورة آمال الراضي، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب

يشهد العالم اليوم تحوّلات كبرى في مجالات التعليم، بفعل الثورة الرقمية المتسارعة التي أحدثت نقلة نوعية في طرق تعلم المعرفة واكتسابها، ولا سيما في مجال تعليم اللغات. وقد فرضت هذه التحولات على المنظومات التربوية ذات المقاربات التقليدية التي طالما اعتمدت على الأساليب التلقينية والتكرار، وخاصة في مراحل التعليم الأولي، ضرورة مراجعة أسسها البيداغوجية وطرائقها التقليدية في التعليم، خاصة فيما يتعلق بتدريس اللغة العربية، التي باتت في حاجة ماسة إلى نماذج تعليمية متجددة تراعي خصوصيات جيل الشاشة والمتعلّم الرقمي، وتستثمر الإمكانات الهائلة التي توفرها التكنولوجيا الحديثة.

وفي هذا الإطار، برزت اللسانيات التعليمية باعتبارها حقلًا معرفيًا خصبًا يمكن أن يدعم العملية التعليمية بمداخل علمية دقيقة، تستند إلى نتائج البحث اللساني المعاصر، وتُسهم في تطوير تعليم اللغة من حيث الأهداف، والمحتويات، والطرائق، والتقويم. وقد أضحت الحاجة ملحة إلى تصور نموذج تربوي عربي يتأسس على هذه اللسانيات، ويستثمر في الوقت ذاته معطيات التحول الرقمي لبناء بيئات تعلّم أكثر فاعلية، وتفاعلية، وتجاوبًا مع حاجات المتعلمين.

ومن بين المهارات الأساسية التي تستدعي اهتمامًا خاصًا في تعليم اللغة العربية، تبرز مهارة الاستماع، لكونها تشكل المدخل الطبيعي لاكتساب الكفاية اللغوية، خاصة لدى المتعلمين المبتدئين أو الناطقين بغير العربية. إذ يُعدّ الاستماع أداة أساسية للفهم والتفاعل، ومدخلًا لا غنى عنه لاكتساب مهارات التعبير الشفهي، والقراءة، والكتابة. ورغم أهميتها البالغة، لا تزال هذه المهارة تعاني من التهميش في العديد من البرامج التعليمية، إما بسبب ضعف التصورات الديداكتيكية، أو غياب الموارد الرقمية المناسبة.

غير أن الواقع التربوي يكشف عن إشكالية ملحة تتمثّل في غياب نموذج تربوي رقمي عربي متكامل لتعليم مهارة الاستماع، يستند إلى اللسانيات التعليمية ويستثمر الحلول الرقمية التفاعلية بما يكفي. هذا القصور ينعكس في ضعف الكفايات السمعية والتواصلية لدى المتعلمين، ويحدّ من استفادتهم من الفرص التي تتيحها البيئة الرقمية المعاصرة، خصوصًا في المراحل الأولى من التعلم أو لدى غير الناطقين بالعربية. انطلاقًا من هذا الواقع،

يتساءل البحث: كيف يمكن بناء نموذج تربوي رقمي عربي حديث ينهض بتعليم مهارة الاستماع، ويعالج الثغرات الراهنة في المناهج ويواكب مستجدات العصر الرقمي؟ وما هو مدى فاعلية هذا النموذج المقترح في تحسين الكفايات التواصلية للمتعلمين المبتدئين؟

للإجابة عن هذه الإشكالية، يُعتمد في الدراسة على منهجية مركبة تجمع بين التحليل النظري للمقاربات اللسانية التعليمية الرقمية، ورصد التطبيقات التكنولوجية المعاصرة، وتصميم نموذج تربوي مقترح قائم على المبادئ التداولية والتفاعلية، على أن يتم عرض مكونات هذا النموذج ووحداته، مع تحليل نقاط القوة والتحديات، وفتح آفاق لتجريبه ميدانياً لاحقاً في ضوء مؤشرات أدائه ومردوده اللغوي والتواصلي.

انطلاقًا من هذه الإشكاليات، يسعى هذا المقال إلى تقديم تصور نظري وتطبيقي لبناء نموذج تربوي عربي متجدد، يستند إلى اللسانيات التعليمية، ويأخذ بعين الاعتبار المعطيات الجديدة للتحول الرقمي، مع التركيز على تنمية مهارة الاستماع لدى المتعلمين المبتدئين. كما يروم اقتراح مقاربة تعليمية تفاعلية متعددة الوسائط، تتوخى جعل تعلم اللغة العربية تجربة غنية، وحيّة، وذات معنى.

ومن ثمّ، يُنتظر من هذا المقال أن يُسهم في إرساء أسس ديداكتيك رقمي جديد لتعليم اللغة العربية، يتجاوز الاختزالات التقليدية، ويمنح المتعلم موقعًا فاعلًا في بناء المعنى والتفاعل مع اللغة.

اللسانيات التعليمية ومجالاتها التطبيقية

تُعدّ اللسانيات التعليمية فرعًا وظيفيًا من اللسانيات التطبيقية، تفيد من المعطيات اللسانية لخدمة الأهداف التربوية والتعليمية، خاصة في مجال تعلم اللغات وتعليمها (مفتاح، 2010، ص. 15؛ الفاسي الفهري، 2015، ص. 38). فهي تسعى إلى فهم طبيعة الظواهر اللغوية، وكيفية توظيفها في بناء الكفايات اللغوية لدى المتعلم، وقد ظهر هذا الاتجاه استجابة لحاجة مُلحّة في حقل التربية والتعليم، إلى تجاوز المقاربات التقليدية في تدريس اللغة، التي ركزت على البعدين البنيوي والنحوي فقط، لتولي اهتمامًا أكبر بجوانب الاستعمال والتداول والسياق الواقعي للغة[1].

[1] - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: وصف وتقويم ونماذج، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000، ص 45.

لقد ساهم تطور البحوث اللسانية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ولاسيما مع بروز اللسانيات التداولية واللسانيات النفسية والاجتماعية، في إغناء هذا المجال وربطه بمكونات أساسية في العملية التعليمية، مثل المتعلّم، والمحتوى، والسياق، وطرائق التدريس. فبدل أن تُدرَّس اللغة كوحدة مغلقة، صار يُنظر إليها كممارسة اجتماعية وثقافية، تتحقق داخل وضعيات تواصلية حقيقية[2].

وتتوزع مجالات تطبيق اللسانيات التعليمية على محاور عدّة، من أبرزها: إعداد المحتويات اللغوية وفق مبدأ التدرج الوظيفي، وتكييف المقاربات الديداكتيكية لتراعي الفروق الفردية، وتصميم تقويمات تستند إلى الأداء الفعلي للمتعلمين في سياقات طبيعية. كما تشمل مجالات التطبيق تحليل الخطاب التربوي وتجويد التواصل الصفي، وبناء أدوات إلكترونية لتعليم اللغة موجهة لفئات عمرية وبيئية مختلفة[3].

وقد غدت اللسانيات التعليمية، في ضوء هذه التحولات، مجالاً تقاطعيًّا يجمع بين النظرية والممارسة، وبين البعد اللغوي الصرف والبعد البيداغوجي والسوسيولوجي، ما يجعلها أساسًا نظريًّا ومنهجيًّا لإرساء نموذج تربوي عربي جديد، قادر على مواكبة التحديات الراهنة التي تفرضها الرقمنة، وتغير أنماط التعلّم، وحاجات المتعلمين المتجددة[4]

يرتكز هذا الحقل على فهم طبيعة الظواهر اللغوية وكيفية توظيفها في بناء الكفايات اللغوية لدى المتعلمين، من خلال تحليل العمليات المعرفية، واللغوية، والاجتماعية التي تقع في سياقات تعليم اللغة.

1. اللسانيات التعليمية: المفهوم والتطور

تعتبر اللسانيات التعليمية فرعا من اللسانيات التطبيقية يربط بين البحث النظري والعمليات التعليمية، حيث تهدف إلى تجسير الفجوة بين البحث النظري وممارسات التعليم داخل الصف الدراسي[5]. وتهدف إلى تحويل المعارف اللسانية إلى تطبيقات تعليمية قابلة للتطبيق داخل الفصل الدراسي، خصوصًا في ظل التوسع الكبير في تعليم اللغات الثانية والأجنبية.

---

[2] - أحمد المتوكل، من اللسانيات إلى الخطاب: قضايا ومقاربات، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص 61.

[3] - حسن حمود، تحليل الخطاب التربوي في ضوء اللسانيات التداولية، عمان: دار المناهج للنشر، 2018، ص 73.

[4] - Jack C. Richards and Theodore S. Rodgers, Approachs and Methods in Language Teaching, 2nd ed, (Cambridge: Cambridge University Press, 2001)،p 152.

[5] - Corder, S. Pit. (1973). Introducing applied linguistics. Harmondsworth, England: Penguin Education.

يرتكز الحقل على فرضية أساسية مفادها أن تعليم اللغة لا يمكن أن ينجح دون فهم عميق لبنية اللغة ووظائفها وسيرورات اكتسابها في سياقات التواصل الفعلية[6] . ومن هنا ظهرت مقاربات متعددة مثل البنيوية، التوليدية، الوظيفية، والتداولية، مراعية طبيعة المتعلم والسياق التربوي.

في السياق العربي، لا تزال المناهج التعليمية تركز في الغالب على القواعد والمفردات، متجاهلة الجوانب التداولية والوظيفية، مما يعرقل بناء كفايات تواصلية فعلية لدى المتعلمين، ويحد من تطويرها. ولذلك، دعا العديد من الباحثين إلى ضرورة إعادة بناء تعليم اللغة العربية وفق نظريات اللسانيات التعليمية الحديثة، خاصة الوظيفية والتداولية، التي ترى اللغة كأداة اجتماعية وثقافية[7].

2. المدارس اللسانية وتأثيرها في تعليم اللغة

تقدم المدارس اللسانية المختلفة أطرا نظرية متكاملة لتطوير تعليم اللغة، ومنها:

المدرسة اللسانية	التوجه النظري	التأثير في التعليم
البنيوية	التركيز على البنية الصوتية والنحوية	تعليم مبني على قواعد صارمة وتدرج من البسيط إلى المركب
التوليدية التحويلية (تشومسكي)	اللغة ككفاية فطرية	التركيز على البنية العميقة وفصل الكفاية عن الإنجاز
الوظيفية (هاليداي)	اللغة أداة وظيفية للتواصل	تعليم عبر مهام ومواقف تواصلية لبناء كفاية تواصلية
التداولية	المعنى في السياق والاستعمال	تعليم اللغة كنشاط تفاعلي يراعي المقاصد والنيَّة، وتكامل المهارات

[6] - Van Lier, L. (1996). Interaction in the language curriculum : Awareness, autonomy and authenticity. London: Longman.

[7] - Halliday, M. A. K. (1978). Language as social semiotic: The social interpretation of language and meaning. London: Edward Arnold.

تحليل الخطاب وعلوم النص	النص كوحدة دلالية كبرى	تصميم أنشطة لفهم النصوص وتأويلها، وربط الجمل ضمن سياق متناسق

توفر هذه المدارس إطارًا نظريًا متنوعًا ورصينًا لتطوير مناهج تعليم اللغة القائمة على الفهم العميق للغة واستخدامها في الحياة.

3. مكونات اللسانيات التعليمية التطبيقية

تعنى اللسانيات التعليمية بعدة جوانب رئيسة، تختلف باختلاف الزاوية التحليلية المعتمدة، فيهتم التحليل الصوتي بدراسة الخصائص الفيزيائية للأصوات وكيفية إنتاجها وإدراكها، وهو أمر أساس لتعليم النطق الصحيح وتنمية مهارات الإدراك السمعي لدى المتعلم[8]. ويشكل التحليل النحوي الإطار الذي يمكّن المتعلم من بناء الجمل بشكل صحيح وفهم تراكيب اللغة، مما يعزز قدرته على استخدام اللغة بشكل دقيق[9].

ويتناول التحليل الدلالي دراسة المعاني في اللغة، مع التركيز على دور السياق والعناصر اللغوية في تفسير النصوص ومعالجة الإبهام الذي قد يواجه المبتدئين[10].

ويركز التحليل التواصلي على إعداد مواقف تواصلية حقيقية يُمارس فيها المتعلم اللغة كوسيلة للتفاعل، وهو ما يشكل جوهر المقاربات التي تهدف إلى تطوير الكفايات التواصلية[11].

يساعد دمج هذه المكونات في بناء نموذج تعليمي متكامل يطور كفايات لغوية عملية وفعالة.

تعد اللسانيات التعليمية ذات أهمية بالغة في سياق تعليم اللغة العربية، بسبب خصوصياتها الصوتية والصرفية والبنيوية والدلالية التي تطرح تحديات واضحة في مراحل التعلم الأولى. إذ تتيح هذه اللسانيات تشخيص صعوبات التعلم اللغوي المتعلقة بالنطق والتركيب، مما يمكّن من وضع استراتيجيات تعليمية متكيفة مع الفروق الفردية ومستويات المتعلمين.

---

[8] - Crystal, D. (2008). A dictionary of linguistics and phonetics (6th ed.). Wiley-Blackwell, p 45.
[9] - Radford, A. (2009). Syntax: A minimalist introduction. Cambridge University Press, p 12.
[10] - Saeed, J. I. (2003). Semantics (2nd ed.). Wiley-Blackwell, p15.
[11] - Brown, G., & Yule, G. (1983). Discourse analysis. Cambridge University Press , p 15.

كما تسهم في تصميم أنشطة تربوية تهدف إلى تنمية المهارات اللغوية الأربع: الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة، مع التركيز على مهارة الاستماع بوصفها قاعدة أساسية لاكتساب المهارات اللغوية الأخرى.

5 إسهامات اللسانيات التعليمية في تطوير مناهج اللغة العربية

أسهمت اللسانيات التعليمية في تجديد تدريس اللغات وتطوير مناهجها من خلال الانتقال من التلقين القائم على تجزيء القواعد إلى اعتماد المدخل التواصلي الذي يركز على الاستخدام الفعلي للغة[12]. كما أسهمت في دمج الوسائط السمعية البصرية والتقنيات الرقمية لتنمية الإدراك السمعي والبصري لدى المتعلمين، وتولي اللسانيات التعليمية التركيز على التقويم التكويني وتحليل الأخطاء بوصفها مؤشرات على تقدم الكفاية، وليس باعتبارها مظهرا من مظاهر التعثر والفشل[13].

وعلى الصعيد النظري، برزت أعمال نظرية تأسيسية في هذا المجال مثل:

- Galisson & Coste (1992 اللذان مهّدا لولادة مفهوم "ديداكتيك اللغات" (Didactique des langues)، وهو مجال يربط بين اللسانيات والتربية.
- Puren (1994 الذي اعتبر اللسانيات التعليمية علماً يعيد صياغة العلاقة بين النظرية والتطبيق في التعليم اللغوي.
- Krashen (1982 من خلال مدخله الطبيعي (The Natural Approach)، الذي أكد أهمية التعرض السمعي والاندماج في اللغة ضمن سياقات ذات معنى.
- Vygotsky (1978 الذي شدد على دور التفاعل الاجتماعي في تنمية اللغة، معتبرًا إياها أداة للتفكير والعمل التربوي.

وتتجلّى مجالات تطبيق اللسانيات التعليمية في:

تصميم المناهج وفق التدرج الوظيفي (Dubois & Gohard-Radenkovic, 1995).

بناء أنشطة تعليمية انطلاقا من تحليل الحاجات والسياقات التفاعلية.

---

[12] - Richards, J. C., & Rodgers, T. S. (2014). Approaches and methods in language teaching (3rd ed.). Cambridge University Press.

[13] - Corder, 1973, p .

إعداد وحدات ديداكتيكية تدمج المهارات الأربع في وضعيات واقعية.

تقويم الكفايات بناء على الأداء في سياقات حقيقية، لا وفق اختبارات معزولة.

وفي السياق العربي، تجدر الإشارة إلى إسهامات علماء مثل عبد القادر الفاسي الفهري في إرساء أسس لسانية تطبيقية عربية، ومحمد مفتاح في استثمار اللسانيات التداولية، إضافة إلى الجهود التي تبذلها مراكز تعليم العربية للناطقين بغيرها في المغرب ومصر وقطر والأردن، خاصة في تطوير المواد السمعية والوسائط التفاعلية.

وفي السياق العربي، تجدر الإشارة إلى إسهامات علماء مثل عبد القادر الفاسي الفهري في تأسيس أسس اللسانيات التطبيقية العربية، ومحمد مفتاح في استثمار اللسانيات التداولية، إضافة إلى الجهود التي تبذلها مراكز تعليم العربية للناطقين بغيرها في المغرب ومصر وقطر، خاصة في تطوير المواد السمعية والوسائط التفاعلية.

التركيز على مهارة الاستماع:

تُعدّ مهارة الاستماع حجر الأساس في عملية اكتساب اللغة، خصوصًا في المراحل الأولى من التعلم. فهي تتيح للمتعلم التعرف على أصوات اللغة وتمايزها، وأنماط الخطاب المختلفة، وسياقات التفاعل الاجتماعي، مما يهيّئه نفسيًا ومعرفيًا لاكتساب المهارات اللغوية الأخرى من قراءة وكتابة وتعبير شفوي. إن الاستماع ليس مجرد عملية تلقٍّ سلبي، بل هو فعل إدراكي تواصلي يُعيد تشكيل العلاقة بين المتعلم واللغة من خلال التفاعل مع معانيها في سياقها الواقعي.

وقد أشار Stephen Krashen (1982) إلى أن الفهم السمعي يُمثل "المدخل الطبيعي لاكتساب اللغة[14]"، مؤكدًا أن التعرض المتكرر للخطاب المفهوم، في سياقات دلالية ذات مغزى بالنسبة للمتعلم، يساعد على ترسيخ البنية اللغوية بطريقة ضمنية ولا واعية، دون الحاجة إلى شروحات صريحة أو حفظ قواعد مجردة.

وفي الاتجاه نفسه، تشير دراسات حديثة إلى أن المتعلم الذي يُتقن الاستماع يمتلك استعدادًا أكبر للانخراط في مهارات القراءة والكتابة والتعبير الشفهي، إذ يُمثل الاستماع مدخلًا تكامليًا يفعّل الوعي الصوتي والدلالي في آنٍ واحد. فقد بيّنت Field أن تطوير مهارة

[14] - Krashen, S. D. (1982). *Principles and practice in second language acquisition*. Pergamon Press, p 20.

الاستماع يسهم في تحسين الكفاءة التواصلية العامة، ويُقلّل من القلق المرتبط بفهم النصوص المنطوقة[15].

كما يوجه Vandergrift & Goh إلى أن الاستماع الناجح ليس نتيجة لفهم آني فقط، بل هو حصيلة تدرّب طويل على استراتيجيات الاستماع، مثل التوقع، والتركيز على المفاتيح الدلالية، ومراقبة الفهم، وكلها عمليات معرفية يتم بناؤها تدريجيًا داخل السياق التعليمي[16].

. **ثانيا: التحول الرقمي وتغير أنماط التعلُّم**

شهد العالم خلال العقود الأخيرة تسارعًا غير مسبوق في وتيرة التحول الرقمي، ما أدى إلى إعادة تشكيل عميقة في أنماط التعلُّم وممارساته، حيث لم يعد المتعلّم مجرد متلقٍ سلبي للمعرفة، بل أصبح فاعلًا ومنتجًا ومشاركًا في بناء المعنى، داخل بيئات تعلم تفاعلية ومتعددة الوسائط، وقد تجاوزت الوسائط التعليمية التقليدية مثل الكتب المدرسية والسبورة، لتحلّ محلها منصات رقمية، وتطبيقات تعليمية، وغرف صفية افتراضية، وتعلُّم قائم على الألعاب والمحاكاة، والبودكاستات، والفيديوهات التعليمية، وغيرها.

في هذا السياق، لم يعد بالإمكان الحديث عن تعليم اللغة العربية بمنأى عن هذا التحول. فالجيل الجديد من المتعلمين ينتمي إلى ما يُعرف بـ"جيل الشاشة"، وهو جيل يتعلم ويتفاعل ويُنتج المعنى عبر وسائط رقمية، تعتمد الصورة، والصوت، والحركة، والنص في آن واحد. وهذا يفرض على مناهج تعليم اللغة العربية أن تعيد النظر في منطلقاتها، وأساليبها، ومواردها، بما يواكب هذا التحول العميق في نمط التلقي والمعالجة والتفاعل .

ومن أبرز ما أفرزته الثورة الرقمية في مجال التعليم:

التعلم التفاعلي: حيث أصبحت البيئات الرقمية تتيح للمتعلم التفاعل الفوري مع المحتوى، مما يحفز الانتباه والتفكير النشط، ويسهم في بناء التعلم الذاتي.

التعدد الوسائطي (Multimodality): والذي يُمكّن المتعلم من استقبال المعرفة عبر قنوات سمعية وبصرية وحركية، بدل الاقتصار على الكلمة المكتوبة فقط (Kress، 2010).

---

[15] - Field, J. (2008). *Listening in the language classroom*. Cambridge University Press, pp 32,33.

[16] - Vandergrift, L., & Goh, C. C. M. (2012). Teaching and learning second language listening: Metacognition in action. Routledge, pp 45,47.

تفريد التعلم (Personnalisation): حيث تتيح الأدوات الرقمية إمكانية تكييف المحتوى حسب مستوى المتعلم وسرعته وأسلوبه الخاص في التعلم.

التعلم القائم على المشروع (Project-based learning) والسيناريوهات التفاعلية: التي تجعل اللغة تُتعلم من خلال إنجاز مهام واقعية ضمن محيط رقمي هادف.

إن دمج اللغة العربية في هذا التحول الرقمي لا ينبغي أن يكون مجرد نقل محتوى ورقي إلى صيغة رقمية، بل يجب أن يكون إعادة تفكير شاملة في طبيعة اللغة، وفي كيفية تدريسها، وفي علاقة المتعلم بها داخل الفضاء التفاعلي الجديد. ويطرح هذا الوضع تحديًا كبيرًا أمام المنظومات التعليمية العربية، يتمثل في تطوير موارد رقمية تعليمية ذات جودة، مبنية على أسس لسانيات تعليمية سليمة، وتخدم الوظيفة التواصلية للغة، لا مجرد التمرينات اللغوية المعزولة.

وقد أظهرت العديد من الدراسات أن استعمال الأدوات الرقمية في تعليم اللغة يُسهم في تحسين مستويات الفهم، وتنمية الكفايات السمعية والشفهية، وتعزيز الدافعية لدى المتعلم، خاصة إذا ارتبطت ببيئة تعليمية مرنة ومفتوحة[17]، ومن ثَمّ، فإن مشروع بناء نموذج تربوي عربي رقمي لتعليم العربية، لا بد أن يُؤسس على هذا التفاعل الخلّاق بين التكنولوجيا واللسانيات التربوية، في ضوء حاجات المتعلم المعاصر.

جدول مقارن: من التعلم التقليدي إلى التعلم الرقمي التفاعلي

الجانب	التعلم التقليدي	التعلم الرقمي التفاعلي
الوسائط	كتاب مدرسي، سبورة، شرح مباشر	منصات رقمية، فيديوهات، بودكاست، محاكاة، تطبيقات
دور المتعلم	متلقٍ سلبي	فاعل، مستكشف، صانع للمحتوى
نمط التفاعل	أحادي الاتجاه (من المعلم إلى المتعلم)	تفاعلي، متعدد الاتجاهات (متعلم - محتوى - زملاء)
الموارد	نصوص ثابتة، محتوى موحَّد	محتوى متنوع، متكيّف، وسائط متعددة
الزمن والمكان	مرتبط بقاعة الصف	مفتوح الزمان والمكان (مرونة كاملة)
آليات التقويم	اختبارات ورقية تقليدية	تقويم رقمي، فوري، قائم على الأداء والتفاعل
الكفايات المستهدفة	تذكر المعلومات	بناء المهارات، حل المشكلات، الإبداع، التشارك

الرهان على نموذج تربوي عربي جديد لتنمية مهارة الاستماع في عصر الرقمنة

[17] _

تركيزًا على خصوصيات السياق العربي، الذي يعاني من بعض التحديات في تعليم مهارة الاستماع كما أسلفنا، يبرز الرهان على تطوير نموذج تربوي مغاير يجمع بين العمق النظري الذي توفره اللغات التعليمية الحديثة، من خلال دمج مناهج التداولية، تحليل الخطاب، واللسانيات التطبيقية بما يراعي الخصوصية اللغوية والثقافية، وبين المرونة التكنولوجية التي تتيحها بيئة التعلم الرقمية، باستخدام منصات رقمية تفاعلية، وموارد وسائط متعددة، وتقنيات الذكاء الاصطناعي، لتوفير بيئات تعلم متميزة تحاكي الواقع وتحث على التعلم النشط والمستدام.

يهدف هذا النموذج إلى تأسيس تعليم مستدام لمهارة الاستماع، يُحوّلها من نشاط تقليدي محدود التأثير، إلى عملية تعليمية ديناميكية غنية، ترتقي بها من مهارة تقنيّة إلى كفاية تواصلية كلية، متكاملة مع باقي مهارات اللغة ومستجيبة لمتطلبات عصر المعرفة والتواصل الرقمي المعاصر.

النموذج التربوي الرقمي المقترح: مبادئه ومكوّناته

يرتكز النموذج التربوي المقترح في هذا المقال على تصور تكاملي لمهارة الاستماع، يدمج بين الأساس النظري الذي توفره اللسانيات التعليمية، وخاصة التداولية والوظيفية منها، وبين الإمكانات التقنية التي يتيحها التحول الرقمي، من حيث الوسائط، والتفاعل، والتخصيص، والتقويم. ويهدف النموذج إلى تقديم بديل بيداغوجي فعّال لتعليم مهارة الاستماع للمتعلمين المبتدئين، داخل فضاء تعلّمي رقمي تفاعلي، يتسم بالانفتاح والتدرج والمعنى.

4.1. المبادئ المؤطرة للنموذج

يستند النموذج إلى أربعة مبادئ بنائية:

1 - المبدأ التداولي: يُعامل المسموع باعتباره خطابًا مقصديًا، يجب فهمه في ضوء السياق، والمقام، والنية، لا فقط من خلال القواعد اللغوية.

2 - المبدإ التفاعلي: يُتيح للمتعلم الانخراط في استماع نشط، عبر وسائط متعددة، وأسئلة توجيهية، وأنشطة ما قبل وبعد الاستماع، ومهام حقيقية.

3 - مبدإ التدرج والتنوع: يُراعي اختلاف مستويات المتعلمين، ويوفر مسارات تعليمية متدرجة، من الأصوات إلى الجمل، ثم إلى الخطابات والحوارات المعقدة.

4 - مبدإ الرقمنة التربوية: يُبنى النموذج على بيئة رقمية (منصة إلكترونية أو تطبيق تعليمي)، تسمح بالتعلم الذاتي أو التشاركي، وتوفر موارد حية، وقابلة للتخصيص.

4.2. مكونات النموذج

يتكون النموذج المقترح من خمس وحدات أساسية، تُوزّع حسب مسار تعلم تدريجي:

المكون الوصف

1. وحدة الأصوات والتمييز السمعي تدريب المتعلم على تمييز الأصوات العربية، عبر مقاطع سمعية قصيرة وتمارين تفاعلية.

2. وحدة الكلمات والتراكيب استماع لعبارات وجمل شائعة، مع أنشطة توظيفية مثل "أكمل"، "اربط"، "اختر الصورة المناسبة".

3. وحدة الفهم العام مقاطع قصيرة (حوارات - أوامر - وصف)، مع أسئلة فهم مباشر ومتعدد المستويات.

4. وحدة الفهم التأويلي نصوص سردية أو وثائقية مصوّتة، تتطلب تفعيل مهارات التوقع، الاستنتاج، والتأويل السياقي.

5. وحدة الإنتاج الشفهي يُطلب من المتعلم تسجيل صوته، أو إعادة التعبير عمّا استمع إليه، أو المشاركة في محادثة تفاعلية داخل المنصة.

4.3. بيئة التطبيق

يمكن تنزيل هذا النموذج ضمن منصة تعليمية إلكترونية مصمّمة للمتعلمين الناطقين أو غير الناطقين بالعربية.

تعتمد المنصة على واجهة تفاعلية جذابة، وتُدمج فيها:

مقاطع صوتية/فيديو حقيقية من صميم البيئة والثقافة العربيتين (Authentic materials).

تمارين تلقائية التصحيح.

أنشطة تكييف المحتوى حسب المستوى.

تقارير تعلُّم آنية للمتعلمين والمعلمين.

5. آفاق البحث والتطبيق

إن النموذج التربوي الرقمي المقترح لتعليم مهارة الاستماع في ضوء اللسانيات التعليمية لا يُعدّ فقط استجابة آنية لحاجات المتعلم في العصر الرقمي، بل يشكل أيضًا لبنة أولى في مسار تجديد شامل لتعليم اللغة العربية، يقوم على أسس علمية حديثة، ويُعيد رسم العلاقة بين النظرية والممارسة، وبين المعارف اللسانية والتصاميم البيداغوجية.

وتُفتح من خلال هذا التصور مجموعة من الآفاق البحثية، نوجزها فيما يلي:

-آفاق تربوية: يتمثل أبرزها في إمكانية إدماج النموذج داخل البرامج التعليمية الرسمية، أو ضمن وحدات مستقلة لتعليم الاستماع، سواء في التعليم المدرسي أو الجامعي أو في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها.

-آفاق تقنية: يدعو النموذج إلى تطوير منصات تفاعلية عربية تُراعي المعايير البيداغوجية الحديثة، وتستثمر الذكاء الاصطناعي في تخصيص التعلم، وتقديم تغذية راجعة ذكية، وتنويع سيناريوهات التعلم.

-آفاق ديداكتيكية: يُمكّن النموذج من صياغة تصوّرات جديدة لديداكتيك مهارة الاستماع، تنطلق من التدرج السياقي، ومن توظيف الوسائط الأصيلة، ومن تمثّل وظيفة اللغة باعتبارها وسيلة للفهم والتفاعل.

-آفاق بحثية: يطرح هذا النموذج إمكانات كبيرة للبحث التربوي، سواء في تقويم أثره على تنمية الكفاية الشفوية، أو في مقارنة فعاليته بمناهج الاستماع التقليدية، أو في مدى انسجامه مع الفروق الثقافية واللغوية بين المتعلمين.

-آفاق تكوينية: يمكن أن يُدمج النموذج ضمن برامج تكوين المدرّسين، لتدريبهم على دمج مهارة الاستماع ضمن مقاربة رقمية ووظيفية، تجمع بين الوعي النظري والتطبيق العملي، وتُسهم في تجديد الممارسات الصفية.

وفي ضوء ذلك، يصبح من الضروري الانتقال من مرحلة التنظير إلى مرحلة التجريب، من خلال مشاريع تعليمية رقمية تُنفّذ داخل مؤسسات تعليمية فعلية، وتُقيَّم وفق أدوات كمية ونوعية، بهدف تطويرها تدريجيًا، وتوسيع نطاق اعتمادها، بما يضمن استدامة الأثر.

خاتمة:

إنّ تحديات تعليم اللغة العربية اليوم، بما فيها من تعقيد بنيوي، وتباين سياقي، وتحولات رقمية متسارعة، لا يمكن مواجهتها بالاجتهادات الفردية أو الحلول الجاهزة، بل من خلال مشاريع تربوية علمية تُبنى على وعيٍ نظري عميق، ورؤيةٍ تكاملية، واستثمارٍ مدروس للوسائط والتقنيات الحديثة. وهذا ما يسعى إليه النموذج المقترح، بوصفه خطوةً أولى في مسار طويل نحو ديداكتيك رقمي عربي متجدد.

وما كان لهذا التصور أن يرى النور لولا الحوافز المعنوية والفكرية التي وفّرتها المنصات العلمية الجادة، التي تُعلي من شأن اللغة العربية، وتحتضن المشاريع الرصينة المعنية بتطوير تعليمها. وقد جاء طرح هذا النموذج تتويجًا لفكرة حملناها جنينًا معرفيًا، وكان لا بد لها أن تنمو على منبرٍ عُرف بريادته في دعم المبادرات التربوية، وبتاريخه المشرّف في رعاية المشاريع العلمية المدبّرة، مما شجّعنا على تقديم هذا التصور في كنف مؤتمر يُعدّ من أبرز الفضاءات العربية الراعية لتجديد تعليم اللغة العربية وبحث آفاقها.

إنّ المراهنة على هذا النوع من المنصات ليس فقط رهانا على إمكانات النشر العلمي، بل هو رهانٌ على وعيٍ جماعي مشترك، يؤمن بأن النهوض بتعليم اللغة العربية، في زمن التحول الرقمي، لا يتحقق إلا بتظافر الرؤية العلمية، والإرادة المؤسسية، واحتضان الأفكار الهادفة منذ مراحلها الأولى.

لائحة المراجع:

Dubois, M., & Gohard-Radenkovic, A. (1995). Didactique des langues et acquisition de compétences. De Boeck Université.

Field, J. (2008). Listening in the Language Classroom. Cambridge University Press.

Galisson, R., & Coste, D. (1992). Dictionnaire de didactique des langues. Hachette Éducation.

Krashen, S. (1982). Principles and Practice in Second Language Acquisition. Pergamon Press.

Kress, G. (2010). Multimodality: A Social Semiotic Approach to Contemporary Communication. Routledge.

Puren, C. (1994). La didactique des langues à l'épreuve des cultures éducatives. CRDP de Grenoble.

Vandergrift, L., & Goh, C. (2012). Teaching and Learning Second Language Listening: Metacognition in Action. Routledge.

Vygotsky, L. (1978). Mind in Society: The Development of Higher Psychological Processes. Harvard University Press.

الفاسي الفهري، عبد القادر. (2015). اللسانيات التربوية وتعليم اللغة. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

مفتاح، محمد. (2010). في سيمياء الثقافة: مقدمة جديدة. المركز الثقافي العربي.